السلام والأديان: قراءة في مقال محمد أركون:
فرضيات من أجل تفكير ديني آخر

✍ نعيمة إدريس، أستاذة مكلفة بالدروس
المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة

ملخص

في كل الأديان نجد قيم التسامح والوفاق والمساواة، لكن التاريخ والواقع يثبتان العكس، حروب ومعارك عديدة كان سببها التعصب الديني، والجدل حول مسائل دينية بحتة، سواء بين أديان مختلفة؛كالصراع بين اليهود والمسلمين، والحروب الصليبية. أو بين من ينتمون إلى نفس الديانة؛ كالشيعة والسنة، أو الكاثوليك والبروتستانت. هذه الأحداث فتحت المجال للحديث عن الدور الحقيقي للدين، فهل هو مصدر للسلام والحب، أم للحروب والمعارك؟
هذا ما يطرحه محمد أركون في مقاله بشكل أعمق، مركزا على العلاقة بين السلام والأديان بنظرة جديدة أكثر موضوعية بعيدا عن المثالية.

Résumé

Dans toutes les religions ,on trouve les valeurs de tolérance d'entente et d'égalité ; cependant l'histoire et le vécu réel prouve le contraire. Plusieurs guerres avaient pour cause l'apologie religieuse, et la dialectique sur des problèmes typiquement religieux, soit entre de diverses religions :le conflit entre Juifs et Musulmans, les Croisades, soit entre les partisans de la même religion : les Chi'ites et les Sounaas, les Catholiques et les protestants. Tous ces événements ont ouvert des discussions sur le vrai rôle de la religion ; est- elle une source de paix ,d'amour, ou de guerres et de batailles ?Arkoun évoque ce sujet dans son article ,d'une façon profonde en insistant sur la relation entre la paix et les religions ,avec une nouvelle vision plus objective, loin de tout idéalisme.

تمهيد

بالنظر لظروف العصر فإن تحقيق السلام بات يشكل مطلبا ضروريا، واهتماما جديا على مختلف الأصعدة، من ذلك أن موضوع السلام أصبح يشكل مبحثا أساسيا للعديد من الملتقيات الوطنية والدولية والتي تحاول أن تجمع بين مختلف الحساسيات السياسية والاقتصادية والثقافية وكذلك الدينية. إن الأديان عموما تنشد السلام والطمأنينة لجميع البشر بفضل ما تدعو إليه من قيم الرحمة والتسامح و الإخاء وهذا أمر لا شك فيه، لكن ما لا يمكن إنكاره أن حروبا كبيرة قاسية ودامية قامت عبر التاريخ و ما زالت تقوم إلى حد الآن كانت بسبب دوافع دينية بحتة من ذلك الحروب الصليبية، الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت، بين السنة و الشيعة، بين اليهود و المسلمين ...

هذه الحروب والصراعات الدينية هل يمكن تجاوزها وبالتالي تجاوز الخسائر التي خلفتها وتخلفها، وهل يمكن فعلا إقامة سلام حقيقي بين الأديان؟ وهل بالإمكان القضاء على آفة التعصب الديني الأعمى واستبدالها بفضيلة التسامح الديني التي تحقق السلم و الآمان على هذا المستوى على الأقل ؟

إن دراسة مثل هذا الموضوع ليس أمرا سهلا، من هنا الواقعية والموضوعية العلمية تقتضي أن نستحضر العوائق قبل الآمال والأحلام. إنها مفارقات تعيشها المجتمعات المتدينة، مفارقات لم تعرف طرحا موضوعيا الأمر الذي تحاول توضيحه بحوث وندوات وملتقيات عدة من ذلك المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام الذي انعقد في نيويورك 1974،الذي قدم فيه المفكر محمد أركون طرحا عنونه بـــ"محاولات من أجل تفكير ديني آخر" تؤسس لثقافة السلم والأمان بين الأديان بدل الصراع والعنف وهي محاولات ذات أهمية تستحق الوقوف عندها ودراستها.

والذي يجب لفت الانتباه إليه أن حركة الحوار بين الأديان عرفت انتشارا وتوسعا أفقيا وعموديا من خلال عقد العديد من الملتقيات التي رفعت شعار الحوار بكل أبعاده الحضارية.

الحوار بين الأديان

كما هو معلوم أصبح مصطلح الحوار متداولا في السنوات الأخيرة باعتباره الحل الضروري لكل المشاكل التي يعاني منها الإنسان في وعصرنا هذا، بل الحوار هو المدخل الأول لتحقيق كل أشكال الهدنة والسلام والأمن في العالم، فبدونه تتعثر كل جهود السلام التي تبذل هنا وهناك لإنقاذ البشرية من مختلف المشاكل والصراعات التي تتخبط فيها وباتت تهدد وجودها، هذا يفسر كثرة الندوات والملتقيات التي تحاول بحث ومعالجة موضوع الحوار بكل أوجهه، من ذلك الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان في محاولة لتجاوز الأحقاد والخلافات وخلق جسور اللقاء والتآخي الإنساني. ومن يبن الحوارات البارزة عالميا ما شهدته العقود الأخيرة من القرن العشرين من حوار بين الأديان دون إقصاء لأي ديانة وإن كان يقف على رأس هذا الحوار الإسلام والمسيحية باعتبارهما ديانتين سماويتين من جهة والأكثر انتشارا في العلم من جهة ثانية.

والذي تم الاتفاق عليه مبدئيا أن الحوار الديني يهدف إلى نبذ خلافات وأحقاد الماضي والدخول في حوار جدي وأصيل على أعلى مستوى أكاديميا، ثم محاولة إعطائه امتدادا أفقيا في المستقبل ليشمل الشريحة الأكبر من المؤمنين. من هنا الحوار أصبح واقعا فعليا وليس مجرد مشروع، واقعا له موضوعاته وأسسه ومناهجه وأهدافه التي يطمح لتحقيقها، بل الحوار بين الأديان أصبح فرعا تعليميا يدرس في بعض الجامعات الغربية كتخصص داخل مقارنة الأديان، وهذا له أكثر من دلالة على أهمية هذا التوجه.

لكن السؤال: لماذا الحوار بين الأديان تحديدا وهل إنسا ن اليوم –والذي هو نتاج حضارة مادية علمانية– يعاني من مشاكل دينية تستوجب الحوار والنقاش لحلها...؟ وهل الهدف يتوقف عند فعل الحوار؟ في الحقيقة إن الحوار هو الخطوة الضرورية لتحقيق الهدف الأسمى وهو السلام،ثم إن الكثير من المجندين له تشكلت لديهم قناعة بأنه لا يمكن تحقيق سلام بين الثقافات والحضارات دون المرور بالسلام

بين الأديان أولا، لأنه وبالرغم من قيم التسامح التي توجد في كل الأديان السماوية والوضعية، إلا أننا لا يمكن أن ننسى أو ننكر أو نتجاهل حروبا قامت ومازالت تقوم بسبب دوافع دينية بحتة سواء بين أفراد الدين الواحد أو بين ملل مختلفة. من هنا اختارت الكثير من الإرادات الخيرة الحوار وتوجهت إليه كمنهج أجدى وأنفع من الصراع والتصادم، وذلك لتحقيق السلام بين الأديان والشعوب ونشر الإيمان بالله والقيم الخلقية التي تعد أهدافا مشتركة بين كل الأديان خاصة وأن الكثير بات يخشى خطر ثقافة المادة والإلحاد. وهنا يأتي الحوار الديني حسب اعتقادي أسبق من أي حوار فكل ثقافة وإنتاج حضاري مرتبط بالعقيدة التي ينحدر منها بل إن أشد ما يتعصب له المرء هو العقيدة ليأتي بعد ذلك الوطن واللغة، والدين الإسلامي له موقفه الصريح والواضح من الحوار والسلام بين الأديان والشعوب عموما.

الإسلام والحوار الديني:

إن ما سجله الإسلام في هذا المقام عظيم وعظيم جدا والقاعدة الدينية الخالدة لا تعرف مجازا ولا تقبل تأويلا فالقرآن الكريم بقوله :"لا إكراه في الدين" "قد أثبت للبشرية قاعدة دينية خلقية خالدة مفادها: أن الإيمان قضية باطنية (داخلية) وأنه لا بد أن يكون عن اختيار مبني على الإدراك واليقين"1، بينما مرت قرون وقرون حتى أقر الغرب المسيحي حرية المعتقد، بعد السيطرة والوصاية الكنسية التي كانت تحرم قراءة الإنجيل وتفسيره إلا على رجال الدين. وعموما أن موقف الإسلام من الأديان وخاصة السماوية منها معروف؛ إنه موقف الوحدة لا الاختلاف، فالمنبع واحد، وجميعها على صلة بسيدنا إبراهيم عليه السلام، ومن الطبيعي أن يحاور الإسلام هذه الأديان باعتبارها جزءا منه انحرف ومن المفروض أن يعود هذا الجزء إلى جادة الصواب عن طريق الحوار والإقناع، وليس العنف والإكراه." فالتسامح الإسلامي تجاه أهل الكتاب ليس مجرد انعكاس لذهنية وطنية، ولكنه يتجذر في العقيدة القرآنية وسنة الرسول، حيث عمل الإسلام منذ ظهوره على فتح مجال الحوار مع الكتابيين وبالأخص المسيحيين"2 . وقد مورس هذا الحوار

في العهد الأول من طرف المتكلمين من خلال ردودهم التي اعتمدت العقل وسيلة وليس السيف، وكذلك في العهود المتقدمة،" فقد كان العالم الإسلامي باستمرار مكانا للالتقاء والتبادل في إطار التسامح، وحتى في أسوء الظروف التاريخية فإن الإمبراطورية الإسلامية لم تكف على أن تكون أرض استقبال وحتى أرض لجوء لأهل الكتاب. فعلى هامش الصدامات والحروب الصليبية (التي نتصورها تلقائيا عبارة عن صراعات بلا رحمة) نجد أن متديني وفقهاء الطرفين كانوا يعملون على تحقيق لقاءات سلمية هادئة "3. دون أن ننسى أن رجال الدين وعلى رأسهم البابا كانوا وراء الحروب الصليبية الدامية، بل أعطوها صفة القداسة والنبل لتحرير بيت المقدس من يد المسلمين الغزاة.

هذا هو موقف الإسلام من الأديان السماوية لا ينكرها، مصدق بها، مقر بانحرافها متسامح معها، وبتالي لا يرفض الحوار معها. انه موقف الدين الثابت، لكن تبقى ممارسات الواقع شيء آخر، الأمر الذي يقودنا للحديث عن الصراعات الدينية التي تحدث هنا وهناك مخلفة آلاف الضحايا.

الصراع الديني الدائر

رغم قيم التسامح التي تقول بها جميع الأديان فإن واقع بعض المتدينين يعكس قيم العنف والصراع، فلا سبيل إلى إنكار ما حدث بين السنة والشيعة قديما وما يزال مستمرا إلى يومنا هذا، من لم يتألم من المسلمين لما حدث في العراق في عيد فطر سنة(2004)، الشعب الواحد في البلد الواحد لا يعيد في نفس اليوم، خلافات كثيرة بين مختلف الجماعات الإسلامية لا تقف عند حد الخلاف والاختلاف بل تصل إلى القذف والتكفير والاعتداء والقتل بين أبناء الدين الواحد، فما حدث في بلادنا من أحداث ومآسي دامية كان لفتاوى التكفير والجهاد ضلع كبير فيها، لقد اتخذ البعض المرجعية الدينية سندا لتبرير التفجير والقتل والذبح والاغتصاب...وما حدث ويحدث في أفغانستان من خراب ومآسي كان بسبب خلافات سياسية ودينية حولت البلد إلى شبح مخيف والأمثلة أكثر من أن تعد.

خارج دائرة الإسلام نجد الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت المسيحيين خلف الكثير من الضحايا. وكان قبله التعصب الديني الذي قادته الكنيسة الكاثوليكية التي أرادت فرض العقائد التي تراها صحيحة بكل الأساليب بما في ذلك القوة والعنف والسجن، ومحاكم التفتيش في أوروبا أحسن مثال عن التعصب الديني الأعمى الذي خلف آلاف الضحايا من المواطنين الأبرياء إلى العلماء المتنورين، إلى الحروب الصليبية التي تعتبر أول اعتداء ديني مسلح قامت به أوروبا ضد المسلمين، واسمها دال عليها. وكانت تهدف إلى التبشير،وإلى نشر عقيدة الصليب، وإلى استعادة بيت المقدس، ونفس الشيء يقال عن موجات الاستعمار الحديث"فقد شغل الشعار الديني حيزا في الأيديولوجية الغربية الاستعمارية، وهو ما حصل في احتلال الفرنسيين للجزائر 1830 الذي وصفه مطران باريس في تلك الفترة بأنه انتصار للمسيحية على الإسلام "4

أما الصراع بين اليهود والمسلمين فما يزال مستمرا، ويذهب ضحيته يوميا العديد من الأشخاص خاصة المسلمين منهم، انه نموذج آخر عن الصراع الديني الناتج عن غياب ثقافة التسامح والسلم وتقبل الآخر كما هو، وكما يريد أن يكون.

وحتى البلدان التي تدعي العلمانية أو تطليق الدين وإبعاده من كل حساباتها، يثبت الواقع عكس ذلك، بل الخلفية الدينية تقف وراء كل التحركات المغرضة. ألم يعلن بوش أنها حرب صليبية ثانية قادمة بعد أحداث 11 سبتمبر على أساس أن المتسبّب فيها مسلم؟ ألم يشجع الجنود الأمريكيون لخوض الحرب في العراق بعبارات دينية وأنهم يخدمون المسيح والإنجيل ويحصلون على الخلاص... وبالرغم من النصوص الإنجيلية المفعمة بروح التسامح،إلا أن التأويلات اللاهوتية والسياسية المستغلة غالبا ما تتعسف وتحكم على الإسلام وغيره أحكاما جائرة .

إن الأخطاء قاسم مشترك فالتعصب الديني لا يقتصر على أحد بعينه بل يوجد لدى المسلم والمسيحي واليهودي والهندوسي والبوذي...كون النصوص المقدسة وما تدعو إليه شيء والممارسات الواقعية شيء آخر، فالتطرف الديني

مشترك وإن كان في العقود الأخيرة ينسب للمسلمين أكثر من غيرهم. فالهجوم يقع على الإسلام يوميا وبشكل إعلامي استراتيجي؛ الأمر الذي شكل في النهاية نظرة معادية له، وكما حلل أركون نظرة الغرب المعاصر خاصة إلى الإسلام حيث قال :"والمتخيل(L'imaginaire)الغربي المتشكل تجاه الإسلام يتغذى منذ الخمسينات من كل هيمنة وسائل الإعلام الغربي التي لا يمر يوم واحد وتتحدث فيه عن الموضوع، بسبب تلاحق الأحداث العنيفة لحركات التحرر الوطني والحركات الاحتجاجية والتمردية السائدة في المجتمعات الإسلامية العديدة والمتنوعة "5 .

فحتى حركات التحرر التي هي حق وطني ألصق بها مصطلح العنف،فقد كان من المفروض- حسب المتخيل الغربي- أن لا يحاول المسلم التحرّر من المستعمر الغربي المسيحي الذي جاء يحمل له الحضارة...لكن عندما هب للدفاع عن وطنه وهويته وكرامته أتهم بالعنف، واتهم دينه طبعا الذي كان الحافز الأساسي لتحرره، فحب الوطن من الإيمان، لكن كما يقول أركون " هذا الجهل بالإسلام لا يخص الأحداث الراهنة فحسب، أقصد بذلك مشاكل المجتمعات الإسلامية قد تعقدت وتكاثرت منذ انبثاق الدول القومية المستقلة في الخمسينات والستينات، ولكن حتى فيما يخص هذه الفترة القصيرة حصل خلط خطير أدى إلى تشكيل المتخيل الغربي عن الإسلام، فكل المشاكل ذات الجوهر السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي ألحقت جميعها بالإسلام".6

إنه خلط تعسفي،فالوضع المتخلف الذي نعرفه علميا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا يبرر بكوننا مسلمين، أحكام مسبقة تنقلها وسائل الإعلام الغربي دون المرور بدراسة علمية نقدية تميز بين الأصول الثابتة للعقيدة، وبين الممارسات العملية المختلفة للمجتمعات المسلمة.

إن الموضوعية تقتضي التذكير بموجات التطرف والحركات الإسلامية المسلحة –والتي اتخذت طابعا إرهابيا- المنتشرة في بعض البلدان الإسلامية، قد أوجدت في الوقت الراهن مبررا للأحكام الغربية حول الإسلام مما جعل أركون يقول:"إنه لصحيح أن الخطاب الإسلامي المشترك، أقصد خطاب الحركات

الإسلامية التي تقود الصراعات السياسية الأكثر أهمية وحسما يفرض الصورة الجبارة لإسلام مشترك وأبدي وخالد يمثل نموذج العمل التاريخي الأعلى والمثالي الهادف إلى تخليص العالم من النموذج الغربي والإمبريالي والمادي" 7.

ودون الاسترسال في الحديث عن الصراع الديني الذي لا سبيل إلى إنكار خطورته وضرورة التفكير جديا في علاجه، نؤكد مرة أخرى على ضرورة إيجاد سبل الحوار الديني الذي يعتبره البعض"محطة تاريخية واعية،ووضع شديد الأهمية والحساسية، يتطلب دراسة مفاهيمية– نظرية متكاملة ومعالجة مؤسساتية، عملية مثمرة وفاعلة". 8

و بدأ يظهر جانب الفاعلية والإثمار في انطلاق سلسة من الحوار الديني الموسع بحيث تستدعى كل الحساسيات للجلوس إلى مائدة واحدة والنقاش حولها لإبراز كل الخلافات بدل حجبها، والتفكير في حلول تخدم الجميع .

وفي كل مرة تعرف النقاشات تقدما وجرأة في الطرح، من ذلك مقال أركون الذي أعده للندوة العالمية من أجل السلام، والذي نختاره كنموذج من بين العديد من الطروحات.

الأديان والسلام في فكر أركون

بالنظر إلى ظروف العصر فإن تحقيق السلام يمكن أن يشكل مبحثا أساسيا لملتقى أو عدة ملتقيات بين الأديان، لأنها عموما تنشد السلام والطمأنينة لجميع البشر بفضل ما تدعو إليه من قيم الرحمة والإخاء وهذا أمر لا شك فيه، لكن دراسة هذا الموضوع ليست أمرا سهلا –إن كان يبدو كذلك – وهذا ما حاول طرحه أركون في مقاله "فرضيات من أجل تفكير ديني آخر " بالنظر إلى الندوة العالمية من أجل السلام حيث مهد بالحديث عن المؤتمر العالمي الثالث للأديان من أجل السلام (CMRP) الذي سينعقد بنييورك بعد الملتقى الأول بـــ Tokyo 1970و الثاني بـــ LOUVAIN 1974 حيث يعلق على هذا الحدث قائلا:

" أن يجتمع في نفس المكان ممثلون لكل الأديان الحية للبحث في الشروط والسبل لسلام دائم في العالم،إنه حدث تاريخي جديد وشجاع في حد ذاته، مع علمنا المسبق أن الأديان كانت عبر التاريخ سببا في إثارة الحروب وتبريرها،ومبادئ الإقصاء والحرمان والسيطرة"لغير المؤمنين" والتي تدعي (احتكار) (التحالف) مع الله و الحقيقة الأزلية و القداسة الملزمة لكل البشر".9

وليستدل على كلامه يذكر العديد من النماذج قائلا:" حروب كثيرة (الحروب الصليبية، الصراع بين البروتستانت والكاثوليك، السنة والشيعة، اليهود،المسلمون، المسيحيون...) النشاطات التبشيرية تستمر وأمام أعيننا في تصوير الخراب الاجتماعي والثقافي و السياسي لإستراتيجيتها المسيطرة."10 هذه الخلفية التاريخية للصراعات الدينية، هل تمكن فعلا من إقامة مؤتمر للسلام انطلاقا من الأديان؟ بل إن أركون يطرح السؤال بصورة أعمق:

" هل يمكن حقيقة تحقيق سلام عالمي انطلاقا من أديان تقليدية في الوقت الذي همشت فيه وفقدت الثقة من قبل القوى العظمى للعلمانية في البلدان المصنعة من جهة، أو بسبب تحولها عن دورها الروحي إلى استخدامات أيديولوجية داخل الأمم النامية لبلدان العالم الثالث ؟"11. وهذا أمر واضح لا يمكن إنكاره من جهة، كما لا يمكن تحميل نتائجه السلبية لأطراف دينية وحسب.

بعد ذلك نجد أركون يطرح سؤالا أخطر:" ألا يخشى من استغلال الأديان هذه المرة على المستوى العالمي وليس فقط على المستوى الوطني أو الجماعي ضمن أطر لفرض السيطرة الاقتصادية والسياسية ؟."12

إنها تساؤلات جادة وذات أهمية، فالدين كثيرا ما يستغل و يتخذ وسيلة لخدمة أغراض دنيئة نظرا للوقار الذي يحمله، ألا تكون المساعي الجديدة " الدين من أجل السلام" مجرد مناورة لخدمة أطماع أيديولوجية تحت ستار الدين؟ أنها فرضية أكثر من ممكنة، ثم إن هناك من لا يستبعدها كالتيارات الإلحادية والمادية التي لا تثق في كل ما هو ديني، وإن كان فقدان الثقة هذا ليس بنفس مستوى المجتمعات المتدينة.

من هنا الواقعية و الموضوعية تجعلنا نستحضر العوائق قبل الآمال والأحلام وخوض المشاريع،"فنداء الأديان للروحانية، والقيم الأخلاقية...هل يمكن أن يجد نفس الغايات وسط مجتمع لبيرالي أو اشتراكي (لأن الإتحاد السوفياتي – سابقا خ /ص– قدم في جوان 1977 ملتقى مضادا – يتماشى مع أزمة الحضارة) وسط عالم ثالث هو ضحية للمجاعة،لكل أنواع الفاقة،والدمار والتضخم، لضغط عالمي محكوم بالزيادة والإفراط في الإنتاج والمكس، بينما حاجيات ضخمة وغذائية تبقى دون تحقيق" 13. وإنها فعلا مفارقات تعيشها المجتمعات المتدينة مفارقات لم تعرف طرحا موضوعيا في الملتقيات السابقة،ولم تطرح حتى في أعمال اللجان المحضرة للملتقى الثالث القادم كما أشار لذلك أركون.

هذا يعني باختصار السقوط في المثالية الدينية المتعالية، و بقاء الوضع الأمني المتأزم على حاله، لأن تبادل المجاملات بين الأطراف الحاضرة لن يؤسس لثقافة السلم التي باتت الأغلبية تنشدها، فكيف نتحدث عن السلام بعيدا عن الضغوط المختلفة التي تمارس هنا وهناك، وهنا يطرح أركون سؤالا آخر:

"كيف لم يتم استهجان الغياب الكامل لأي عملية نقد للعقائد المثالية الدينية المختلفة وكأنها صالحة من خلال ماضيها الذي يوحي بالسلام من خلال مصطلحات غير قابلة للتصديق المباشر من قبل كل المعاصرين؟". 14

وهنا يحاول أركون تقديم حل قائلا: أعتقد أنه يجب العمل من أجل تفكير ديني آخر، بنفس الإقدام السياسي ونفس صرامة القرار...وممكن بنظرة أشمل للإنسان من تلك الخاصة بالمسؤولين السياسيين، و الذين يطالبون منذ مدة بنظام اقتصادي عالمي جديد "15. والذي نخلص إليه أنه يجب النظر إلى علاقة السلام بالأديان نظرة جديدة ومختلفة أكثر واقعية، بعيدا عن المثاليات الساذجة والخطابات الرنانة لكل المتدينين" إذ يتعين علينا التعريف بشكل أكثر عمقا بالمعطيات التاريخية،الاجتماعية، النفسية، الفلسفية، الأنثروبولوجية التي تمكن الأديان في يومنا هذا من حق المطالبة بنظام مبني على السلم". 16

هذه رؤية ضمن الحوار والسلام بين الأديان قدمها المفكر أركون بفرضيات واقتراحات أكثر واقعية وموضوعية، نحو تأسيس فكر ديني آخر.

لكن الذي يجب التذكير به وأغفله أركون أن أي عملية تأسيس جديدة من المستحيل أن تكون جديدة تماما، لأنها لن تنطلق من فراغ أو عدم، أي لابد أن نستلهم من المواقف والتجارب المفيدة في الماضي والموجودة في تراثنا الإسلامي خاصة هذا من جهة، من جهة أخرى لا يجب وضع جميع الأديان في نفس الخانة ونحكم عليها بنفس الأحكام، إن الموضوعية العلمية تقتضي أن نبرز أخطاء الماضي بشكل منصف، صحيح أن الأخطاء قاسم مشترك كما ذكرنا، إلا أنها ليست بنفس الحجم، فظاهرة التعصب الديني الأعمى لا يجب أن تنسينا تثمين ظاهرة التسامح الديني المعاكسة لها–والتي يزخر التراث بها الدين الإسلامي– والتي مارسها قديما وحديثا والأمثلة في ذلك أكثر من أن تعد أو تحصى، كما يمارسها الكثير من المتدينين الآن من ملل مختلفة و بشكل رائع وعظيم، بدليل جمعيات الأخوة الدينية المنتشرة في عدة بلدان والتي تمكنت من إيجاد سبل الالتقاء والتعاون رغم اختلاف الحساسيات الدينية .

وفي الحقيقة إن الملتقيات العديدة التي ضمت الحوار بين الأديان قد حققت بعض النتائج الإيجابية كما قننت شروطا للحوار تضمن المساواة والفائدة للجميع من ذلك التأكيد على:

- **تجنب الجدل المفرغ**

من شروط أي حوار ديني أو غير ديني أو أي مشروع سلام تجنب الصراع أو الاصطدام وهذا يبدو صعبا، إن تحقيق هذا يتطلب تضحيات حقيقية ومنها الابتعاد عن الجدل المفرغ أي كما ذكر محمد الطالبي" أن نحرص على خنق عفريت الجدل، وأوثق السبل التي تجعلنا نحول دونه، ودون تجديده للخسائر التي تسبب فيها للفكر البشري والجرائم التي ارتكبها إزاءه تتمثل في أن نتخلى نهائيا عن أن نجعل غاية الحوار– في السر أو العلانية– جعل الطرف المقابل يعتنق ديننا."17 أي لا يجب أن يستغل الحوار الديني الجاري كطريقة جديدة للدعوة أو نشر الأديان وعموما لم

يعد اعتناق الأديان أو التحول إلى دين آخر يتم بالإكراه والعنف وإنما له سبل أخرى .

– تجنب الصراع العسكري

وهو شرط آخر أكد عليه أنصار الحوار والسلم رغم عدم إمكانية تنفيذه،أي مهما انسدت طرق التواصل الفكري، واشتدت الصراعات العقدية وتضاربت المصالح الاقتصادية والسياسية... فلا يجب اللجوء إلى السلاح كرد فعل على تلك الصراعات الدينية الفكرية في أصلها، و موروث الماضي يقدم كم من عبرة لتجنب أي صراع من هذا النوع. ثم إن تحقيق الحوار في حد ذاته يعد دليلا على تجاوز عصر الحروب الدينية، ومن ثم يفترض التمسك بالحوار كمبدأ لا تنازل عنه مهما اشتد الخلاف أو الصراع الديني.

خلاصة

إن فكرة السلام أكثر من ضرورية وهي بحاجة لوسائل عديدة ومنافذ متنوعة، من ذلك ما ذكرته عن السلام بين الأديان، لأنه سيحقق السلام بين الثقافات والحضارات في العالم،ثم إن الأديان الكبرى كالإسلام والمسيحية يمكنهما فعلا المساهة في بناء السلام وهذا ما أكده مثلا الأسقف هنري تيسيي بقوله:"إنه لمن الواضح في العشرينيات القادمة العلاقة بين المسيحيين والمسلمين ستكون من العناصر الروحية المشكلة للسلام في العالم،فالبحث عن اتصال إيجابي بين المجتمعين يشكل إذن ضرورة للذي يريد المساهمة في التفاهم بين الشعوب".18

بل إنه يدعو لتكثيف الجهود لتحقيق ذلك قائلا: "العمل يجب أن يتواصل الآن،لأنه لن يكون مستقبل لا للدين ولا للإنسانية،إذا لم يكن المؤمنون رجال سلام ومسئوليهم رجال حوار".19

أخيرا نقول إنه من مصلحة جميع الأديان في عصرنا أن تقف في جبهة واحدة ضد المادية والعلمانية والإلحاد والانحلال الخلقي بدل التصادم، وأن تكون في مستوى التحديات وذلك بمضاعفة جهود المؤمنين لتوفير مناخ حقيقي نحو آفاق

التسامح والتعاون المشترك لبعث القيم الأخلاقية والدينية وعلى رأسها الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

وهنا نذكر بأن مسؤولية المسلم الذي ينتمي إلى عالم يوصف بالتخلف الاجتماعي، الاقتصادي العلمي...مسؤولية تتضاعف بالنظر إلى قيمه الإسلامية العالية والتي لايعكسها واقعه، وبالتالي رفع التحدي أصبح من واجبه نحو نفسه أولا لتحسين وضعه المتردي، ونحو بني الإنسانية بمساهمته في الإنتاج الحضاري العالمي ثانيا.

المراجع والهوامش

1- عرفان عبد الحميد فتاح: منهج المتكلمين دراسة وتقويم مجلة إسلامية المعرفة، السنة 3، عدد 8، 1977، ص106 .

2- Ali Merad Dialogue Islamo-Chrétien . Pour la recherche d un langage Commun
Islamo- Christiana, Tom1, Rome , 1975 ,P04

3-Ibid, P04

4- أليكسي جورافسكي: الإسلام و المسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، المجلس الوطني للثقافة والفنون 1960، ص 37

5- محمد أركون:الفكر الإسلامي نقدا واجتهادا: ترجمة وتعليق هاشم صالح المؤسسة الوطنية للكتاب، لافوميك، 1993، ص .36

6- المرجع نفسه، ص 36 .

7- المرجع نفسه، ص 36 .

8- أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص 21-22 .

:Propositions pour une autre pensée religieuse(en vue la conférence
9-Mohamed Arkoun Religions pour la paix) islamo- mondiale des chrétiana,Tom4, Rome, 1978, p197.

10-Ibid,P197

11-Ibid , P197

12 -Ibid, p197

13 -Ibid, 197-198

14-Ibid,p198

15-Ibid,P198

16-Ibid, 201-202

17 محمد طالبي: الإسلام والحوار، ترجمة الرشيد والغزي، إسلاميات مسيحيات، إصدار المعهد البابوي للدراسات العربية، روما، العدد 4، 1978، ص 08.

18-Henri Teissier pour un renouveau du dialogue Islamo chrétien tome 15,1989, p 106

19-Ibid , 106